244 - ـ فصل : اكبح جماع الرغبة .

شكا لي بعض الأشياخ فقال : قد علت سني و ضعفت قوتي و نفسي تطلب مني شراء الجواري الصغار و معلوم أنهن يردن النكاح و ليس في و لا تقنع مني النفس بربة البيت إذ قد كبرت .

فقلت له : عندي جوابان : أحدهما الجواب العامي و هو أن أقول : ينبغي أن تشغل بذكر الموت و ما قد توجهت إليه و تحذر من اشتراه جارية لا تقدر على أيفاء حقها فإنها تبغضك فإن أجهدت استعجلت التلف وإن استبقيت قوتك غضبت هي على أنها لا تريد شيخا كيف كان .

و قد أنشدنا علي بن عبد ا قال : أنشدنا محمد التميمي : .

(أفق يا فؤادي من غرامك و استمع ... مقالة محزون عليك شفيق) .

(علقت فتاة قلبها متعلق ... بغيرك فاستوثقت غير و وثيق) .

(و أصبحت موثوقا و راحت طليقة ... فكم بين موثوق و بين طليق) .

فاعلم أنها تعد عليك الأيام و تطلب منك فضل المال لتستعد لغيرك .

و ربما قصدت حنفك فاحذر السلامة في الترك و لإقتناع بما يدفع الزمان .

الجواب الثاني فإني أقول : لا يخلو أن تكون قادرا على الوطء في وقت أو لا تكون .

فإن كنت لا تقدر فالأولى مصابرة الترك للكل و إن كان يمكن الحازم أن يداري المرأة بالنفقة و طيب الخلق إلا أنه يخاطر .

و إن كنت تقدر في أوقات على ذلك و رأيت من نفسك توقا شديدا فعليك بالمراهقات فإنهن ما عرفن النكاح و ما طلبن بالوطء و اغمرهن بالإنفاق و حسن الخلق مع الإحتياط عليهن و المنع من مخالطة النسوة .

و إذا اتفق وطء فتصبر عن الإنزال ريثما تقضي المرأة حاجتها .

و اعتمد وعظها و تذكيرها بالآخرة و اذكر لها حكايات العشاق من غير نكاح و قبح صورة الفعل و لفت قلبها إلى ذكر الصالحين و لا تخل نفسك من الطيب و التزين و الكياسة و المداراة و الإنفاق الواسع .

فهذا ربما حرك الناقة للمسير مع خطر السلامة